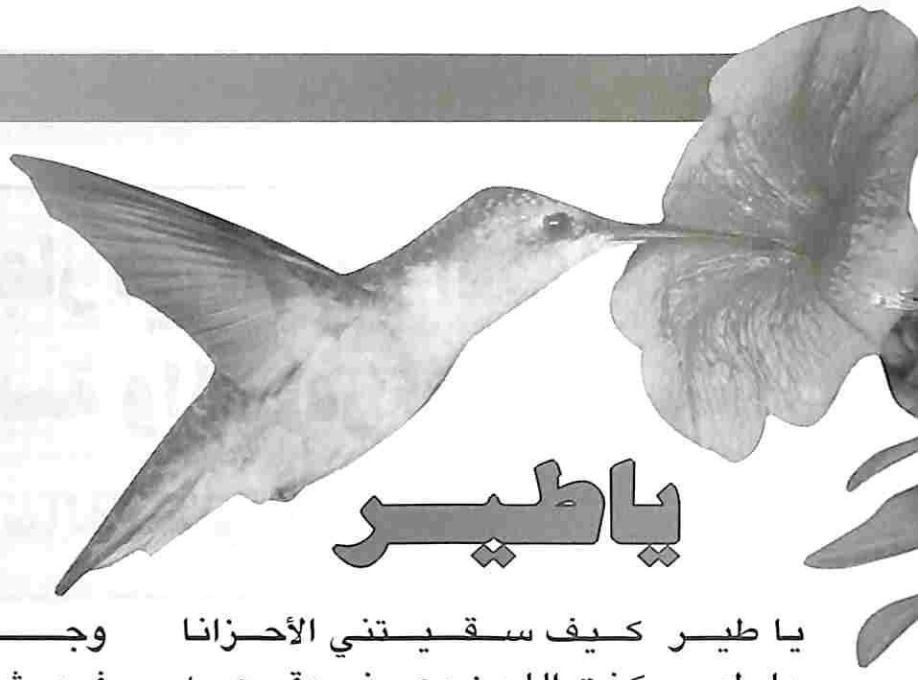

يا طير

شعر: د . إنصاف بخاري
مكة المكرمة

يا طير كيف سقيتني الأحزانا ... وجعلت قلبي بالأسى ريانا
يا طير كنت اللحن يعذب وقعه ... فيثير في أعماقي الأشجانا
ما كنت إلاّ الوجد أبرق همسةً ... بالحب راحت تأسر الوجدانا
ما كنت إلاّ الطيب باكر فيحه ... قلباً بريئاً يعشق الحوذانا[1]
ما كنت يوماً غير لألاء المنى ... يحيي بلمع بريقه الولهانا
فأعرتك الوجدان غضاً ناظراً ... طفلاً يناغي الحب والتحنانا
قد كان يهوى في سجاياك الصفا ... ما كان يعرف في الورى عدوانا
لم يدر أن الصدر يغمد صارماً ... أو في الخبيئة تحمل الأضغانا
يعنى بسقيا الصَّاب للقلب الذي ... عاش الحياة مغرداً جذلانا[2]
قد كان يحسب أن في الحب الشفا ... ء لمن شكا لخليله الحرمانا
ولمن أتى والهم يقطن وجهه ... ولمن أتى بكروبه حيرانا
فإذا بجرعات الكآبة والأسى ... تجتاح قلباً ضاحكاً مزدانا
ورددته.. ورددته والبؤس في ... قسمات إشراق الهنا قد رانا

***

علمتني الأحزان بل أسلمتني ... لشراك بؤس يخنق الألحانا
علمتني وتركت بذرك خافياً ... حتى تطاول ناشراً أغصانا
لم أدر هل أنت الملوم أو انَّها ... نفسي التي لم تحسن العرفانا
ماذا يضير الطير لو كفُّ الأسى ... سحقت وعمَّر سعدنا الأوطانا
ماذا يضير الطير لو صان الرؤى ... مزدانة بسعودها أزمانا
لكنها سنن النفوس لحكمها ... حلم الحليم على المدى قد دانا
وتجارب الإنسان علم فاعل ... يهب الغراس الأمن والإحصانا

---

(١) الحوذان: نبات طيب الرائحة.
(٢) الصاب: شجرٌ مُرٌّ، وعند الجوهري: عصارة شجرٍ مُرّ.